الرقم الدولي المعياري للمؤتمر (معتمد ومصنف دوليًا) ISBN 978 - 9953 - 0 - 2970 - 2

المؤتمر الدولي الحادي عشر للغة العربية

22 - 24 أكتوبر 2025م الموافق 30 ربيع الآخر - 2 جمادى الأولى 1447هـ

دبي - الإمارات العربية المتحدة

الهيئات العربية والدولية أعضاء المجلس الدولي للغة العربية

أطياف جماليّة في شواهد شعريّة

المؤتمر الحادي عشر 1446هـ/2025م **د. محمد الزوكاني**

مقدمة:

قد تبدو الشواهد الشعرية النحوية - أَوَّلَ وَهْلَةٍ - أو بالنّظرة العَجْلَى أنّها مُقتصرة على قوالب من الكلمات والتراكيب والأوزان والقوافي؛ فهي أَشْبَهُ بجلاميدَ صمَّاءَ، أو بأرضٍ جرداءَ تَصْفر فيها الرِّيح، أو بقِفارٍ تتلامح فيها أطيافُ السَّرابِ... ولكنْ عند التّأمُّل والرَّوِيَّة تَتبدَّى تلك الشواهدُ خلافَ ذلك؛ فهي رياضٌ لم تَغِبْ عنها المياهُ ولا الظِّلالُ، ولم تُفارقْها الأصداءُ، ولم يَهجُرْها الشَّذا، ولا نَأَى عنها العبيرُ... ولا يتأتَّى ذلك إلّا لِمَنْ وقفَ واسْتَوْقفَ، وحَبَسَ المطايا، وطاف في رُبوع تلك الشواهد، وأصْغى إلى الشَّدْوِ الذي تتعانقُ فيها أصداؤه... وأرْخى العِنانَ لِبَصَرِهِ وبصيرتِهِ؛ للاستمتاع بمواكب الجمال... والألوان... والأضواء... والثِّمار... والأنْداءِ. وتسعى هذه الدّراسة إلى إماطة اللِّثامِ عن بعض ما تَكْتَنِزُهُ تلك الشواهدُ من الأطياف والرُّؤى والمشاهدِ والمُثُلِ والقِيَمِ؛ ولتحقيق هذا الغرض اصطفتْ هذه التَّطوافة الجمالية إضماماتٍ شعريةً متنوعةَ المسارات أو المقاصد؛ منها: 1- في ربوع البطولة والإباء 2- في ربوع العِشْق والعُشَّاق 3- في وصف المشاهد والأطلال والدِّيار

هدف البحث: تعزيز الأواصر الجمالية بين النحو والأدب والبلاغة والنقد، في ضوء منحى تكامليٍّ في دراسة النصوص أو تحليلها.

سؤال البحث: كيف يمكن أن تكون للدراسات (الجمالية) والأدبية مشاركة فعالة في تدريس (النحو والصرف)؟

أدوات البحث: قِوام هذه الدراسة الاستيحاء... والاستبطان... والبوح... والكشف... مع الاستئناس ببعض الظواهر اللغوية البارزة في النصوص المصطفاة؛ للتَّأمُّلِ والتَّطْوافَ ... وقد تُعَرِّج الدراسة لِمامًا على شذرات من نظرية "التَّلَقِّي أو "استجابة القارئ" التي اختطَّ معالمَها العالمانِ الألمانيّان "ياوس" و"إيرز"، ومَدَّ رِحابَها في أمريكة "هيرش"، و"ستانلي فيش"، و"هولاند".

النتائج: كشفت الدراسة النِّقاب عن بعض عوالم أو فضاءات ممتدة، تكتنزها الشواهد النحوية. وتستحثُّ هذه العوالمُ والفضاءاتُ الدارسين على التّطواف في أرْجائها؛ لِيَجْتنوا من قُطوفها الدَّانية والقاصية، ولِيَنْهَلُوا منْ عيونها الدَّفَّاقة...

الخلاصة والتوصيات: توصي الدراسة بانتهاج المَنْحَى التكامليّ في تحليل النُّصوص، وتعزيز العلائق بين النحو والفنون اللغوية الأخرى؛ لارتياد آفاق الجمال وأسراره المُودَعَة في أكناف النصوص ورِحابها.

1- في رحاب البطولة والإباء:

قال بَشَامة بنْ حَزْم النَّهشلي مُفْتَخِراً بِبُطُولةِ قَوْمِه:[1]

1- إنَّا لَمِنْ مَعْشَرٍ أَفْنَى أوائلَـهم قِيلُ الكُمَاةِ: أَلَا أينَ المُحامونا

2- لو كان في الألفِ منَّا واحدٌ فَدَعَوْا مَنْ فَارِسٌ خَالَهُمْ إيَّاهُ يَعْنُونَا

الإضاءة النحوية: البيتنان من أبيات رواها أبو تمام في أوائل ديوان الحماسة، ونسبها لرجل من بني قيس ابن ثعلبة. ونسبها التبريزي لبشامة بن حزن النهشلي. من قصيدة (من البحر البسيط)، ومطلعها:

إنَّا محيُّوك يا سلمى فحيِّينا وإنْ سَقَيْتِ كِرَامَ النَّاسِ فاسقينا

وَإنْ دَعَوْتِ إلى جُلَّى و مَكْرُمةٍ يومًا سَرَاةَ النَّاس فَادْعِينا

إنَّا بني نَهْشَلٍ لا نَدَّعِي لِأَبٍ عنهُ، و لاهو بِالْأَبْنَاءِ يَشرِينا

وفي الأبيات عدة شواهد نحوية، منها: **"كرام الناس".** أضاف الصفة إلى الموصوف في قوله: "كِرَام النّاس". ومنها قوله: **"بني نهشل"**، حيث نصب "بني" على الاختصاص. **ومعنى البيت الأخير**: إننا لانرغب

---

[1] ابن هشام : شذور الذهب في معرفة كلام العرب، تحقيق عبد الغني الدقر، الشركة المتحدة للتوزيع، دمشق، 1404هـ - 1984م، ص285. في التعليق على قوله: "إنا بني نهشل... البيتب". وينظر: سعيد الأفغاني: الموجز في قواعد اللغة العربية، دار الفكر، دمشق، ط3، 1401هـ - 1983م، ص 235، 276. وينظر: سعيد الأفغاتي: تعاليق على الموجز في قواعد اللغة العربية، طن دار الفكر بدمشق، تاريخ كتابة المقدمة 26-2-1971م، ص41.

عن أبينا؛ فننتسب إلى غيره، وهو لا يرغب عنا؛ فيتبنى غيرنا ويبيعنا به؛ لأنه رضي كل منا بصاحبه. ولو خيِّرنا جميعًا لا نعدو واقعنا الذي نفخر به من حيث البنوة والأبوة. فكل منا فخور بنسبه.

أمَّا البيتان اللذان ستتناولهما الدراسة ففيهما شاهدان نحويان من شواهد مبحث "المبتدأ والخبر".

جاء في كتاب "الموجز في قواعد اللغة العربية" لسعيد الأفغاني: **"أين المحمونا: أين** خبر مقدم وجوبًا؛ لأنه من ألفاظ الصدارة (اسم استفهام). وفي قوله: من فارس: مَنْ: مبتدأ مقدّم وجوبًا؛ لأنه (اسم استفهام) له الصدارة". وظاهر هنا أنّ الاحتجاج في البيتين لحالتين؛ إحداهما: على وجوب تقدم الخبر؛ والأخرى على وجوب تقدم المبتدا. ومقتضي التقديم في الحالتين هو أنَّ أسماء الاستفهام لها الصدارة.

الطيف الجمالي:

استهلّ الشاعر البيت الأوّل بأداة التأكيد (إنَّ) متبوعة بضمير جماعة المتكلمين؛ لأنه يفخر بقبيلته لا بمفرده، وفي هذا بيان جليّ لعمق الانتماء القبلي، فهو معتز بقومه وفخور، وأكدّ انتماءه بمؤكدين: هما: (إنَّ) واللام المزحلقة بخبرها؛ وهذا من أنواع الخبر الإنكاري الذي يُوجَّه إلى مخاطَب مُنكِرٍ، وكأنَّ هذا التأكيد ردٌّ على مَنْ تحدّثه نفسه أو وَهْمُه بالطّعن في انتمائه؛ فيدفع ذلك بقوة، ثم أورد (مِنْ) التبعيضية (مِنْ مَعْشَرٍ)، ليوسّع مِساحة المدح؛ فيشمل القبيلة، ثم قال: "أفنى" فدلَّ على أن البطولة لم تنحصر بفئة المقاتلين منهم، بل هي تشملهم جميعًا كابرًا عن كابر. فالبطولة متجذّرة تجري في عروقهم، بل إن سرعة مبادرة أسلافه إلى ساحات الوغى أَوْدَتْ بأكثرهم، تجلّى ذلك بقوله (أفنى)، والإفناء -كما هو معلوم- لا يُبقي أحدًا، وفي هذا مبالغة محمودة، ولا يخفى أن في تتابع الهمزات في ستة مواضع (إنا- أفنى- أوائلهم، ألا، أين) ما له من تأكيد، وذلك يُوحي به صوت الهمزة، فهي تخرج من أقصى الحلق، فهي تعبر عن معناه المراد من أعماقه...

ولا تفوتنا الإشارة إلى تتابع صوت الألف خاصة ألف الإطلاق أيضًا؛ فهي تعضد الأداء الصوتي الذي يغلّف المعاني بما يلائمها من الحلل الصوتية. ويجدر بنا تأمل اللمحات الصرفية التي تنضم إلى الأداء الصوتي والنسيج التركيبي؛ فقد غلبت الجموع على المفردات؛ كقوله: أوائلهم، الكماة، المحامونا، واسم الجمع (معشر). أمَّا النحو فهو شقيق مهمٌّ للأداء الصوتي والصرفي، تجلَّى في (إنّ) واسمها المدغم بها (نا)، وبوصف (معشر) بجملة فعلية فعلها ماض بصيغة المجهول تقدم المفعول به (أوائلهم)، وتأخر الفاعل (قيل). تبع ذلك استفهام (أين المحامونا)، جاء جوابه في البيت الثاني. أمَّا الأصوات والبنى الصرفية والنحوية في

تَسَاوُقِها وانسجامها فيتعذّر إحصاء الإيحاءات والدلالات التي تنطلق منها فتفتح في فضاء المشاعر والتصور آفاقًا رحيبة... فلك أن تفسح الخيال إلى مَداهُ؛ لتتجلَّى فيه جموعُ أقوامٍ أَوْرَثَ تالدُهم طارفَهم حبَّ البطولة إلى درجة الفناء... فهاهم أولاء يُهرعون مُلبِّين صرخة المستغيثين القائلين: أين المدافعون عن الذِّمار والحِمى؟؛ فتجتمع في أرض النِّزال والطِّعان صيحاتُ الفرسان المُدجَّجِين بالسلاح المُستنجدين بِنُظرائهم لمواجهة سيلٍ من الغُزاة والأعداء...

وما أَسْرَعَ تلبيةَ قوم الشاعر لنجدة نداء الغَوْث والعَوْن... للفرسان (الكُماة) المُستجيرين بهم، فهم في ذِروة التّأهُّب للتَّصدِّي والمُنازلة... فالصرخة المُدوِّية التي تملأ فضاء المعركة المُنبعثة من: "ألا أين المحامونا؟"، لم تذهب أدْراجَ الرياح، بل شدَّ أزرَها رجالٌ يكثرون عند الفَزَع ويقلّون عن الطمع... فواحدهم بألفٍ مِنْ سِواهم. ويصدق عليهم قول الشاعر:

وكم رجلٍ يُعَدُّ بألفِ رَجْلٍ وكم رَجُلٍ يمرُّ بِلا عِدادِ

فصيحة <u>الملهوف</u> أو <u>المُتحدِّي</u>، "مَنْ فارسٌ؟" تلقى آذانًا مُصغية عند قوم الشاعر. فهم إذا سمعوا هذا الاستفهام المُلِحّ على التلبية والرّدّ (مَنْ فارسٌ) عاجلوا ولبَّوْا. وقد يكون القائل: "من فارس؟" مُستغيثًا أو مُتحديًا يطلب مبارِزًا، والمعنيان عندهم سواء، فهم أهل مروءة ومؤازرة، وهم أهل فروسية وصمود عند اللقاء... فإذا قال قائل "من فارس؟" فإنَّ هذا النداء يلقى ترحيبًا عند كل واحد من قوم الشاعر... فواحدهم من بين ألف يسمعون "من فارس؟"، هو المسارِع والمبادِر للحضور وتحقيق المطلوب، سواء أكان غَوْثًا للمنادي أو منازلة له إنْ كان يبغي النّزال.

ولك أن تقف أمام الصورة المُتجلِّية في **البيت الثاني**، فتتخيل جموعًا قد تكون ألفًا أو ألوفًا "فقوله: في الألف" لا يمنع من توقع أن تكون الجموع المستهدفة في صيحة (من فارس) ألوفًا وحشودًا... لك أن ترحل بخيالك وتُجلّي أركان المشهد وإيحاءاته... فهناك ألف أو ألوف من المحتشدين ينادون بأعلى أصواتهم: "من فارس؟" يحمينا، أو يبارزنا... فما أسرع وَقْعَ هذا النداء على مسامع قوم الشاعر، فالفارس الواحد يتيقَّن أنّه المعنيّ بالنداء؛ فيسارع لإجابة المنادين ولا يبالي بالصعاب ولا يخشى العواقب... فهو يعيد إلى الأذهان حميَّة "سعد بن ناشب" وصرخته، ويردد قائلًا:

سأغسلُ عنّي العارَ بالسيف جالبًا عليّ قضاءُ اللهِ ما كانَ جالِبا

فقد وضع نصب عينيه قوة العزيمة والاستبسال، وتنكّب عن ذكر العواقب، ويصحّ وصفه بالبيت الآتي:

إذا هَمَّ ألقى بين عينيه عَزْمَهُ ونكَّبَ عن ذِكْرِ العَواقِبِ جانبا

لقد برع بشامة النهشلي في رسم صورة قومه، فتجلَّت بأبهى صور البطولة والشجاعة.

من فضاء العشق و العشَّاق:

قال جَحْدَر بن مالك:[2]

1- أليس الليلُ يَجْمَعُ أمَّ عمرٍو وإيَّانا فَذَاكَ بِنا تَدانِي

2- نَعَمْ و تَرى الهلالَ كما أراهُ ويَعْلُوها النَّهارُ كَمَا عَلَاني

الإضاءة النحوية:

الشَّاهد فيهما أنَّ "نَعَمْ" -هنا- لتصديق الخبر المُثبَت المُؤوَّل به الاستفهام مع النَّفي؛ فكأنَّه قال: إنَّ الليل يجمع أمَّ عمرٍو وإيَّانا نعم؛ وجازلأمن اللبس، ولعلمه أنَّ كل واحد يعلم أنَّ الليل يجمعه وأمَّ عمرٍو. ففي هذا الشَّاهد رُوِعي المعنى ولم يُراعَ السَّياق اللفظي الذي يشتمل على الاستفهام المنفي، وحقَّه - لو رُوعِي اللفظ – أنْ يقول: بَلَى، يجمعنا الليل. ولكن حُمِلَ الجوابُ هنا- على المعنى لا على اللفظ - ويجوز ذلك عند أمن اللبس.

الطيف الجمالي:

في هذين البيتين عِفَّةٌ وتسامٍ لا نظير لهما، وهذا التحليق الروحي في فضاء العِفَّة قد يجعل القارىء يتوقَّف طويلاً أمام الصورة التي رسمها الشَّاعر، ويصِفُ هذا اللون من الحب الذي هو أقرب إلى

---

[2] ابن هشام: مغني اللبيب، تحقيق د.مازن المبارك ومحمد علي حمد الله، مراجعة سعيد الأفغاني دار الفِكْر بدمشق، ط1،سنة 1384ه-1964م (1/383) رَقْم الشَّاهد (650)، ويُنْظر: محمَّد علي طه الدَّرة: فتح القريب المجيب إعراب شواهد مغني اللبيب: 3/271 رَقْم الشَّاهد (650). مكتبة الرَّازي- دمشق. د. ط. د.ت. ود.إميل يعقوب: المعجم المُفَصَل في شواهد النحو الشِّعرية، دار الكتب العلمية – بَيْروت – لبنان، ط2/1420ه – 1999، (2/1017).

الوهم منه إلى الواقع ... فقد جرت عادة الشُّعراء أنْ يطمحوا إلى نظرة، أو لقاء، أو حُلُم، أو طَيْف، وما أشبه ذلك، أمَّا أنْ يكتفيَ برؤية الليل، أو الهلال أو النَّهار فقط، قانعاً بأنَّ هذه الرؤية تُطْفِيء لواعج الشَّوق المتَّقِدة بين جوانحه، فهذا من غريب المشاعر...

وَلْنمضِ مع الصور التي نَقَعَتْ غُلَّة الشَّاعر، وحقّقت له ما يصبو إليه و نستهلّها بصورة الليل يستر كل مظاهر الطبيعة، فهو لباسها اليومي بعد رحيل الشَّمس... وعندما يَمُدُّ رداءَه الحالِكَ تتغير كلُ مظاهرِ الحياةِ، ومن عطاءاته السَّكينةُ والرُّقادُ، فهو لِباسُ الكائناتِ تلوذ في كَنَفِه لِتنعمَ بالرَّاحة، ولتدع للأجساد المكدودة التي أعياها الكَدُّ والكَدْح مجالاً رَحْبًا لِتأخذَ نصيبَها من الرَّاحة والهدوء... وقالوا في الليل كثيرًا؛ فممَّا قالوه: "الليلُ أخفى للويل" ووصفوا من يخبط فيه خَبْط عشواء، بحاطبِ ليلٍ، لا يدري ما يجمع من أشواك وأعشاب وحشرات... وقد تَهَيَّب الشّعراء الليل، وإذا أرادوا إبراز شجاعتهم، افتخروا بالسير في ظلامه الدَّامس. قال الشَّنْفَرَى:

وليلةِ نَحْسٍ يَصْطَلِي القَوْسَ رَبُّها وأَقْطُعَها اللائي بها يَتَنَبَّلُ

[الشرح: النَّحْس: البرد. يصطلي: يستدفئ. ربّها: صاحبها. الأقطع: جمع (قِطَع)، وهو نصل السهم. يتنبّل: يتخذ منها النَّبْل للرمي. والمعنى: رُبَّ ليلة شديدة البرد يُشعل فيها صاحب القوس قوسه ونصال سهامه؛ فيجازف بفقد أهم ما يحتاج إليه؛ ليستدفئ].

دَعَسْتُ على غَطْشٍ وبَغْشٍ وصُحبتي سُعارٌ وإرْزيز وَوَجْرٌ وأفْكَلُ

[الشرح: دعست: دفعت بشدة وإسراع، وقيل: معناه: مشيت. أو وطئت. الغَطْش: الظلمة. البغش: المطر الخفيف. صحبتي: أصحابي. السُّعار: شدة الجوع، وأصله حرّ النار؛ فاستُعير لشدة الجوع، وكأنَّ الجوع يُحدِث حرًا في جوف الإنسان. الإرزيز: البرد. الوجر: الخوف. والأفكل: الرِّعْدة والارتعاش].

وقال المتنبي: الليلُ و الخيلُ و البَيْداءُ تعرفُني والسَّيْفُ و الرّمحُ و القِرطاسُ والقلمُ

وكثيرًا ما شَكَوْا طولَ الليلِ وهجمةَ الهواجس والمخاوف والاستيحاش. قال النابغة:

كِلِنِي لِهَمٍّ يا أميمةَ ناصبِ وليلٍ أُقَاسيه بطيءِ الكواكِبِ

وقال شاعِرٌ آخرُ أَرْمَضَ قلبَهُ وشعورَهُ ثِقَلُ الليلِ، الذي تتوارد فيه الأطياف والرؤى والأحلام:

لم يَطُلْ ليلي و لكنْ لم أَنَمْ ونَفَى عنّي الكَرَى طَيْفٌ أَلَمّْ

فالليل بَحْرٌ تُحَاكَ تحته الدَّسائس، وتُبْرَم الخُدَع، فقالوا: "هذا أمر دُبِّر بليل..."

إنَّ هذا الليل الذي عَرَّجنا على بعض ملامحه وقَسَمَاتهِ شَفَى بعضُهم نفسَهُ من هَدْأَتِهِ، وتَمَنَّى طولَهُ، وتَمَنَّى ألّا ينبلج ضَوْءُ الصَّبَاح:

يا ليلُ، طُلْ يا نَوْمُ زُلْ يا صبحُ قِفْ لا تَطْلُعِ

وينضم الشَّاعر جَحْدَر إلى قافلة عُشَّاق الليل ومحبيه؛ لأنَّه يجد فيه وِصالًا مع "أم عمرو". فرداء الليل ممتدّ يُغطِّي الطبيعةَ بأسْرِها بما فيها الشَّاعر وأمّ عمرو؛ وبذا أدرك جَحْدَر بُغْيَتَهُ، ودفع يدَ الفِرَاق المؤلمة، وسَعِدَ بيد ِالليلِ الحانية الضَّافية التي ينضوي في كَنَفِها، الأحِبَّة، ويمكن أنْ نستشفَ من طيَّات البَيْت وما بين سطوره أنَّ الشَّاعرَ كان يَجِدُ لمشاعره مُتَنَفَّسًا، فَيَبُوح بما كَتَمَ، ويُظْهِرُ ما أخفى، ولا يخشى رقيبًا أو حسيبًا، فهو الآنَ بأحلامه يبتهج بالتداني، والمشاعر مُسْتَثَارة... والبَوْح عبر أثير الليل وسِتْره يَعْذُوأكثر عمقًا... إنَّ هذه النَّفْسَ قَنِعَتْ بالبَوْح والنَّجْوى، وآثرت تدانيَ الأرواح وتَهْيامَها... وما أرحبَ عاالمَ الرَّوحِ، وما أضيقَ عالمَ الجسدِ... فلا تُبْصِرُ مشاعرُهُ إلا قناديلَهُ، وكواكبَهُ التي تَتَأبَّى على الحَصْر... وتَأنَف من الدُّنُوِّ، وتُؤْثِرُ العلياء... لقد سلك الشَّاعر في التعبير عن خَلَجَات نَفْسِهِ سبيلًا قَلَّ من سَلَكَهُ أو اكتفى به؛ فجاء تعبيره بنسيج تركيبي أطال النُّحَاة حِوارَهم فيه؛ إذ خالف الوجه الشائع من قواعد الاستفهام المنفي (كما جاء في الإضاءة النَّحْويَّة). ولَجَأَ إلى وجه قَلَّ تداولُهُ. ولا غَرْوَ في هذا؛ لأنَّ مسارَه الشُّعوريَّ نادرٌ أيضًا... ولم يحدثنا جِهَارًا عن خواطره التي يُفْضِي بها إلى الليل، ولم يذكر لنا أيضًا ماذا أسَرَّ إلى الليل، فهل تجاذبته، وتقاذفته الرُّؤى، كما صَنَعتْ بغَيْره من الشُّعَراء الذين باحوا لنا بشيء من جَوَى الليل، وما يستثير أحاسيسَهم؛ كقول أحدهم:

فَقُمْتُ للطَيْفِ مُرتاعًا فَأرَّقَنِي فَقُلْتُ: أهِيَ سَرَتْ أَمْ عادنِي حُلُمُ

واكتفى بظاهر العبارة، وتَرَكَ أخيلتنا تطوف بصحبةِ خياله في أرجاء الظَّلام الدَّامس... ولم يكتفِ الشَّاعرُ (جَحْدَر) بعالم الليل الذي يضم عوالم شتَّى لا يكاد التعبير يُحيط بها، وتَرَكَ المشاعِرَ تذهب في كُلِّ فَجٍّ، ولانكاد ندري شيئًا عن انطلاقها أو إيابها... وبينما مشاعِرُ المتلقين في هذه الحال طالَعَنا بنقيض الليل والظَّلام، إنَّهما النَّهار والهلال. أحسَّ الشَّاعر بالعناء الذي تَجَشَّمته أخيلتنا ومشاعرنا التي أوشكت أنْ تُنْعَتَ "بحاطب ليل" فَجعلَنا نَظُنُّ أنَّهُ أراحنا من وَعْثاء التَّرْحال والأسفار... فَانتقل بنا إلى نور الهلال الذي لا يزال

في مدارج النُّمُو والاكتمال... فلا شَكَّ في أنْ الهلالَ يُبدّد كثيرًا من حُجُب الظَّلام... وهو يتناهى ويتسع نوره. قال الشّاعر:

وإذا الهلالُ تلألأتْ أنوارُه أَيْقَنْت أنْ سيصيرُ بَدْرًا كاملًا

ونحن الآنَ بصحبته دون أنْ يدريَ، فَهَمُّه أنْ ينظرَ إلى الهلال لِيَهْنَأَ برؤيته، لأنَّ الهلالَ سخِيٌّ جوادٌ فَهو لا يحجُب نورَهُ عن أحد، فَنورُهُ ممتدٌّ متسع كامتداد الظّلام واتساعه على الرغم من عَلاقة "الضّدّيّة" القائمة بينهما، فكل منهما يؤدّي ما هُيِّيء له وخُصِّص... ولكن"التّداني"عَبْر نور الهلال له مذاقه ولونه الخاصّ به... فكم تَغَنّى الشّعراءُ به، بل قدّموه على الشّمس"أو النّهار"؛ لشّاعريته و رِقّته، فقال قائلهم:

وجهكِ البدرُ، لا بل الشّمسُ لو لم يُقْضَ للشّمس كَسْفةٌ أو أُفُولُ

فقائل هذا يرى أنّ الكسوفَ الذي يعتري الشّمس جعل القمر يفوقها جمالاً وإيحاءً... وغاب عنه أنّ للبَدْرِ خُسوفًا أيضًا... لكنَّ مشاعِرَهُ المتوهجة جعلته يتجاوز هذه المقارنة أو المشابهة في الأحوال... واكتفى ببيانِ ما يروق لنفسه، ويستهويه...

فكما كان الليل يجمع فإنّ الهلال يجمع أيضًا... فالشّاعر يُنَقِّلُ فؤادَه وخواطرَه بين الليل والهلال والنّهار... وليس لهذه الوسائط أو الوسائل سوى الخيال والاستشفاف والبَوْح... فهو يعيش في عوالم مغايرة لكثير من عوالم الشُّعراء الذين طَمِعُوا في أنماط من التّواصل مختلفة... فمنهم من تكفيه نظرة كقوله:

إنَّ سُليمى واللهُ يَكلَؤها ضنَّت بِشَيْءٍ ما كان يَرْزَؤُها

ومنهم مَنْ يتمنّى التّحية، حيث قال:

لَيْت التّحيةَ كانتْ لي فأشكرَها مكانَ "يا جملٌ" حُيِّيتَ يا رجلُ

ويحق لنا أن نتساءل هل اكتوى الشّاعر بنار التخلّي والافتراق، حتّى رَضِيَ بهذا التّداني، ولا يبعد ذلك. فقد وقع ذلك لكُثَيِّر عزّة؛ حيث قال:

وإنِّي و تَهْيامِي بِعزَّةَ بَعْدَما تَخَلّيْتُ مِمَّا بَيْنَنا وتَخَلَّتِ

لَكَا لْمُرْتَجِي ظِلَّ الغَمامةِ كلَّمَا تَبَوَّأَ مِنْها لِلْمَقِيلِ اضْمَحَلَّتِ

فإذا كان كُثَيِّر ترحل مشاعره في عالم الغمام والحَدْس، فهناك شاعر آخر يَعُدُّ "النّظرة" شيئًا كبيرًا؛ فرؤيتُهُ لمعشوقته لَيْسَتْ أمرًا لا يُلتفتُ إليه بل هي أمْرٌ كبيرٌ كما تُخْفِي كلماتُهُ، حيث قال:

أليْس قليلًا نظرةٌ إنْ نَظَرْتُها إليكِ؟ وكَلَّا، ليسَ مِنْكِ قليلُ [3]

[البيت ليزيد بن الطثرية. والشاهد النحوي فيه، قوله: "وكلَّا، ليسَ منكِ قليلُ"، حيث خرجت "كلا" من الدلالة على الرّدع والزجر، وجاءت بمعنى "حقًّا". ينظر: الإنصاف في مسائل الخلاف لأبي البركات الأنباري 1/ 402]. والمعجم المفصل في شواهد النحو الشعرية للدكتور إميل يعقوب: (2/ 728- 729)].

وتدرّج بنا الشّاعر في رحلته الشّعورية إمّا لُطْفًا بمن يصحبه (في قوله و شعوره)، وإمّا بحسَب ما تقوده مشاعره وخواطره... فَأبانَ - في الشّطر الثّاني من البَيْت الثّاني- أنّ "التّداني"- عنده - مازال في مشاهد الطبيعة وعناصرها، فكما جاد عليه الليل بِرِدائه الحالِك فَحُقَّق له القُرْب فهو بعد ذلك في وضح النّهار الذي يعلو الأشياء ويغمرها بالضياء؛ فلا يبخل على شيء، فهو سخي يجود بإنارة المسالك والشِّعاب والذُّرا والنُّجود وغَيْرها... وفيه تبدأ عجلة الحياة بالسعي، فَتَهُبُّ الكائناتُ من سُباتها، وتَجِدّ في إدراك مطالبها... وفي أجواء هذه الحركة الدّؤوب تتوهج مشاعر العشق، وتُستثار المواجد، فلاينسى"جَحْدَر"أم عمرو، فتستمر حَلَقَات التّداني على الرغم من زِحام النّهار وجَلَبَتِه... فالشّاعر وأم عمرو يجدان فيه مجالًا رحبًا للتّداني على النحو الذي جاد به الليل، والهلال، فيه يسعد شاعرنا باستمرار رحلة "التّداني" التي يطمع بها العُشّاق وتتباين مسالكهم ومشاعرهم، فكما هَنِيءَ "جَحْدَر" بالليل والهلال، فهو متواصل بأشواقه مع النّهار الذي يراه الصّديق الثّالث (مع الليل والهلال)، فيبسط له ما تَجِيْشُ به نفسه، ويعتلج به صَدْرُهُ، فَيخفُقُ فؤادُه، وتَطِيبُ به نَفْسُهُ.

فهو وأم عمرو يكتفيان بهذا التّداني، فَهُما يَبُثَانِ التّناجيَ بين الأطياف والرّؤى عَبْر ثلاثة أصحاب هم: الليل والهلال والنّهار، وكل أولئك لا يُفْشُون الأسرارَ ولا يبوحون بها.

فَيَصْدُقُ عليهم قَوْلُ الشّنْفَرى (مع اختلاف الأصحاب)، وهو يصحب الذِّئاب و الضِّباع:

---

[3] البيت ليزيد بن الطثرية. والشاهد النحوي فيه، قوله: "وكلَّا، ليسَ منكِ قليلُ"، حيث خرجت "كلا" من الدلالة على الرّدع والزجر، وجاءت بمعنى "حقًّا". ينظر: الإنصاف في مسائل الخلاف لأبي البركات الأنباري 1/ 402. والمعجم المفصل في شواهد النحو الشعرية للدكتور إميل يعقوب: (2/ 728- 729)].

هُمُ الأَهْلُونَ لا مُسْتَودَعُ السِّرِّ ذائعٌ لَدَيْهِمْ، ولا الجاني بِمَا جَرَّ يُخْذَلُ

حقًّا إنَّ الليل والهلال والنّهار(عند شاعرنا جَحْدَر) لا مُسْتَودَع السِّرِّ ذائعٌ عندهم، فَبَلَغَ تواصلُه معهم حدَّ الرّضا والإعجاب؛ تَجَلَّى ذلك في استفهامه الإنكاري الذي يفيد التّقرير في قوله: "أليس الليلُ يجمعُ... نعمْ، وترى الهلالَ... ويعلوها النّهارُ .."، فَأكَّد ذلك بملء فِيه قائلًا: "نعم". ونصّ جِهارًا على أن هذا التّداني هو الذي يقنع به، ويرتضيه...

لقد رسم الشّاعر بهذين البَيْتين آفاقًا وأنماطًا للتّداني (أو التّواصل)؛ فاصطفى من عناصر الطبيعة ما قد يكون أقواها وأوسعها، وأغناها وأقدرها على تبادل البثّ والنّجوى والبَوْح، فكل عنصر منها يحتاج إلى رحلة طويلة مَهِيبة تُلائم مكانتَهُ ودَوْرَهُ بين عوامل الإيحاءات، والرُموز والإيماءات، والإثارات... وبعد أنْ طافت هذه الرحلة الشّائقة الشّائكة في أرجاء هذين البَيْتين وجنباتهما المتسعة، اكتفت من قلائدهما بما يُحيط بالعُنُق. فكم ضمّ النَّهارُ في جنباته من أَكُفٍّ تكدحُ...؟! وكم شَهِدَ تنافرًا وتصالحًا، قُرْبًا وبُعْدًا... ذَهَابًا وإِيَّابًا... غُدُوًّا ورَوَاحًا... وكم شَهِدَ أياديَ تبني وأخرى تَهدِمُ... وكم شهِد ألم الوداع، وفرحة اللقاء...

3- في ربوع الوصف والتّصوير:

قال امرؤ القَيْس في معلقته:[4]

---

[4] ابن يعيش: شرح المفصل: قدذم له ووضع هوامشه وفهارسه، د إميل يعقوب، دار الكتب العلمية، ط1، 1422هـ - 2001م، بيروت لبنان، 2(/،239، 5/ 250). وينظر: ابن منظور: لسان العرب، طبعة جديدة مصححة وملوّنة. اعتنى بتصحيحها: أمين محمد عبد الوهاب ومحمد الصادق العبيدي، بيروت – لبنان، د.ت (11/368). وابن جني: الخصائص: تحقيق محمد علي النجار، قدّم هذه الطبعة د عبد الحكيم راضي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط5، 2011م، (2/222- 223). ابن هشام: معني اللبيب، تحقيق، د.مازن المبارك ومحمد علي حمد الله، ومراجعة سعيد الأفغاني، دار الفكر بدمشق، ط1، سنة 1384هـ/ 1964م، (2/518، رقم الشاهد 845). - محمد علي طه الدرة: فتح القريب المجيب إعراب شواهد مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، دار الرازي بدمشق، حلبوني، د.ط.د.ت.(4/105-106)، رقم الشاهد 845. د.إميل يعقوب المعجم المفصل في شواهد النحو الشعرية، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان طبعة، 2(جديده ومنقحة)، عام 1420هـ/ عام 1999م.(2/788).

وقدْ أَغْتَدِي والطّيْرُ في وُكُناتِها بِمُنْجِرِدٍ قَيْدِ الأوابدِ هَيْكَلِ

وهو من البَحْر الطّويل.

قائمة المصادر والمراجع:

- القرآن الكريم

1- ابن جني: الخصائص: تحقيق محمد علي النجار، (قدَّم للطبعة د. عبد الحكيم راضي)، الهيئة المصرية العامة للكتاب ط 5، سنة 2010م.

2- سعيد الأفغاني: الموجز في قواعد اللغة العربية، دار الفكر، ط3، 1401هـ - 1981م، ص85.

3- سعيد الأفغاني: تعاليق على الموجز (طُبعت مستقلة عن كتاب الموجز)، ط، دار الفكر، دمشق، تاريخ المقدمة 25- -2-1971م.

4- محمد علي طه الدرة: فتح رب البرية إعراب شواهد جامع الدروس العربية، حمص، د.ط، د. تاريخ (تاريخ كتابة المقدمة: 26/ ربيع الأنور/1392هـ - 9/ ايار/ 1972م).

5- محمد علي طه الدرة: فتح القريب المجيب إعراب شواهد مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، دار الرازي بدمشق، حلبوني، د.ط.د.ت.

6- ابن منظور: لسان العرب، دار إحياء التراث العربي ومؤسسة التاريخ العربي بيروت لبنان، طبعة جديدة مصححة وملونة، اعتنى بتصحيحها أمين محمد عبد الوهاب ومحمد الصادق العبيدي، ط3، د. ت.

7- ابن هشام: مغني اللبيب عن كتب الأعاريب: تحقيق د.مازن المبارك ومحمد علي حمد الله ومراجعة سعيد الأفغاني، دار الفكر بدمشق، ط1، سنة 1384هـ/ 1964م.

8- د. إيميل يعقوب المعجم المفصل في شواهد النحو الشعرية، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان طبعة2 (جديده ومنقحة)، عام 1420هـ/ عام 1999م.

9- مصطفى الغلاييني: جامع الدروس العربية، المكتبة العصرية، صيدا – بيروت، لبنان، 1425هـ - 2004م.

المفردات: أغتدي: أذهب غَدْوةً. الوُكُنات(بضم الواو والكاف): وفَتْحها و سكونها، (وكنة بتثليث الواو، وضم الكاف وسكونها): هي عُشُّ الطّيْر. مُنْجِرِد: قصير الشّعر، وذلك أفضل عندهم. قَيْد الأوابِدِ: مُمسِك. الأوابد: جمع آبدة، وهي الوحوش الشّوارد. هَيْكل: ضَخْمٌ مرتفع. **والمعنى**: كثيرًا ما أذهب مبكرًا وقت كون الطّيْر في أعشاشها راكبًا فرسًا قصيرًا شَعْرُه سريعًا، لا يُفْلِتُ منه صَيْدٌ، بل يُمسِك نوافر الوحوش وشواردها وهو فرس (يُذكّر ويُؤنّث) مرتفع عظيم الجُثة.

الإضاءة النَحْوية:

البيت فيه شاهدان:

1-"وقد أغتدي" حيث جاءت "قد" مع الفعل المضارع للتحقيق، وهذا قليل، والأكثر أنْ تأتي معه للتّوقع.

2-"والطّيْرُ في وُكُناتها": وقعت هذه الجملة حالًا من الفاعل المستتر في "أغتدي" وهي حال من الضّمير الذي يربِطُها بصاحبها. وأوَّلها الزَّمَخْشَري بظرف . **والمعنى: وقد أغتدي وقت كون الطّيْر في أعشاشها؛ أيْ: مقارِنًا لذلك، فأُعْطِيْتُ حُكْمَ الظّروف؛** فلذلك عَرِيْتْ عن ضمير صاحب الحال. وبهذا التّأويل انحلَّتْ إلى مفرد، وبيَّنَتْ هيئة الفاعل. وعند ابن جني هي كالحال والنعت السببيين. وتأويلها – عنده -؛ كقولناك جاء زيد طالعة الشمس عند مجيئه، ونحو: مررت بالدار قائمًا سكانُها، وبرجل قائمٍ غلمانُهُ. وأصله – عند ابن جني- هو: "تقييد الأوابد"، ثم حذف زائدتيه؛ يريد (التاء وإحدى الياءين)؛ فقال: قيد. قال ابن جني: وإن شئت قلت: وصف بالجوهر لما فيه معنى الفعل؛ فالقيد جامد، لكن فيه معنى الفعل "قيّد". وقال ابن عمرون: هي مؤولة بقولك: مبكرًا ونحوه. وقال تلميذ الزمخشري (صدر الأفاضل): الجملة مفعول معه. وأثبت مجيء المفعول معه جملة مؤولة بمفرد. وورود(الواو) قبل الجملة الحالية هو رابط لها.

الطيف الجمالي:

يُطِلُّ علينا امرؤ القَيْس مُمْتطِيًا صَهْوة جواده مُزوّدًا بأسلحة الصّيْد، والطّيْر في أعشاشها، ولانملِك إلا أنْ نصحبَه في رحلته سواءٌ أ كانت للصَيْد أم للحرب أم لغَيْر ذلك. وعُدَّة الشّاعر في رحلته سلاحُ عصره من رمح وسَيْف و سِهام ونِبالٍ وغَيْر ذلك، ولكنَّ عُدَّةَ رحلتِنا تأملاتٌ في المفردات والتراكيب وما تُشيعُهُ من صور ومشاهدَ... ولكل منا أدواتُه وأغراضُه... والظّاهرُ أنّه في رحلة صَيْد. يُرَجِّحُ ذلك قَوْلُه بعد هذا البَيْت:

فظلَّ طُهاةُ اللحمِ ما بين مُنْضِجٍ صفيفَ شِواءٍ أو قديرٍ مُعَجَّلِ

وصف الشّاعر انطلاقَته للصَيْد واصفًا زمانَه، وحالَ الطُّيور في أعشاشها، مبيِّنًا هيئةَ فرسِه وضخامته... وعندما تصحبنا بُلَغٌ من قواعد النّحْو والصّرْف والبلاغة نُضيىء بها مفرادت البَيْت و تراكيبه، ستفتح لنا آفاقًا ورُؤًى تجعلنا في رحلة شعورية ممتعة لا تقل إمتاعًا عن صُيُود امرىء القَيْس؛ ما كان منها شِواءً أو مطبوخًا... فله اللحم مشويًّا ومطبوخًا، ولنا الاستمتاع بتداعيات المفردات والتّراكيب وصورها... الغالب - عند النُّحاة- أنَّ (قد) مع الفعل الماضي تَدُلُّ على تحقق وقوع الفعل، ومع الفعل المضارع تَدُلُّ على التّقليل، وفي بيت امرئ القيس عُكِست هذه القاعدة، فَدلَّت (قد) مع المضارع على تأكيد وقوع الفعل، ولذلك شواهد مبثوتة في كتب النَّحْو، لسنا في صدد استقصائها... قد نلمح من ورود (قد) مع المضارع، التّأكيد المتولد من دلالة المضارع على التّجدد و الاستمرار، فَتجدد الفعل واستمراره يدُلَّان على تأكيد وقوعه... وهو الظّاهرهنا؛ إذ أشار بعض كتب النحو إلى أنَّ هذا موضع الشّاهد في البَيْت: هو دلالة قد والمضارع على تحقق وقوع الفعل).

وأقول للمستمتعين في (رحلة التّأمل) إنَّ للنحاة أقوالًا تستحق التّأمل أيضًا، فتكون رحلتنا ممتعة: مع الصَّيْد، ومع النَّحْو... إنَّ آراءَ النُّحاة في تخريخ الشّاهد هنا رسمت آفاقًا تستحق النّظر؛ لأنَّ النُّحاة – كعادتهم- يَسْعَوْنَ في استنباطاتهم وسعيهم وراء المعنى، فهو رائدهم يَسْعَوْنَ خلفه... ولْنمضِ معهم في آرائهم التي ترفِد التّمتع وتُغنيه. قال بعضهم: خلتِ الجملة الاسمية الحالية (والطَّيْرُ في وُكُنَاتها)، من الضمير الذي يربِطُها بصاحب الحال، وهو الضّمير المُسْتترفي قوله (أغتدي). ولم يكتفوا بالواو التي تكفي لربط جملة الحال بصاحبها، كما جاء في قوله تعالى: (قَالُوا لَئِنْ أَكَلَهُ الذِّئبُ ونَحْنُ عُصْبةٌ إنَّا إذًا لَخاسرونَ) [سورة يوسف: الآية 14].

بل التمسوا- وهم يَسْعَوْنَ وراء المعنى- تخريجات أخرى... فقال أحدهم: المعنى: وقد أغتدي وقت كون الطّيْر في أعشاشها؛ أيْ: مقارنًا لذلك، وكقولنا: جئت والجَيْشَ مُصْطَفٌ ونحو ذلك. وتأويلها (عندآخر): اغتديتُ راقدةً الطَّيْر عند اغتدائي؛ كقولنا: مررتُ بالدّار قائمًا سُكَّانها. (فهي حال تشبه النعت السّببي). جملة: "والطّيْر في وُكُناتها" مؤوّلة بقوله: (أغتدي مبكرًا). وذهب بعضهم إلى أنّ الجملة مفعول معه؛ وأثبت مجيء المفعول معه جملة مؤوّلة بمفرد؛ فقال مؤوِّلًا: أغتدي مع كون الطّيْر في وُكُناتها. ربما تكون تَطوافة النَّحْو هذه ليست في وادي الصُّور الذي نَجِدُّ في طلبه، ولكن إذا صبرنا قليلًا نجد أنَّ كُلَّ تحليل من التّحليلات يضم في طياته مشهدًا... ولْنعُدْ الآنَ لاستشفاف الصور المصاحبة لرحلة النُّحاة...

من أوّلَ بالظرف قائلًا "وقت كون الطّيْر في أعشاشها" فقد فتح أمامنا صورةً الفَجْر الوليد الذي تشهد الأرْض والفضاء انطلاقة للكائنات، كُلٌّ منها يسعى نحو الأفضل، يسعى في يَوْم بهيج لبناء غَدِه، والحديث يطول حول استعراض الصور التي ترسم كَدَّ الأحياء مع إطلالة الصّباح بأندائه و ضيائه...

ومن أوّل جملة "والطَّيْرُ في وُكُناتها" بقوله: أغتدي مُبَكِّرًا فقد رسم صورة رحلة الشّاعر ووقتها معًا، فهي حال تحمل الوقت والهيئة معًا... ومن قال بالمفعول معه، صوّر لنا رحلة المَعِيَّة والمصاحَبَة بين الشّاعر والفَجْر، ولنا أنْ نقرأ ما تحمله هذه الصُّحْبة بين الصّباح والشّاعر المُفعم بتطلعات وآمال تُحيط بها نَسَمَات الفَجْر النّديَّة التي تُفيضُ بِشْرًا وبهجةً...

أمّا الألفاظ فهي مُتْرَعةٌ بالإيحاءات التي تذهب بالخيال كل مَذْهبٍ: أغتدي، الطَّيْر، وُكُنَات، مُنْجِرِد، قَيْد، الأوابد، هَيْكل... كل مفردة لوحة كاملة العناصر ضافية الألوان... (أغتدي) مزيد (غَدَا) ولا شكّ في أنّ الزَّيادة، بثّتْ في دلالة (غَدَا) المجرّد، معاني من القَصْد وكثرة الغُدُو (وقد أغتدي...إلخ). فهو مولع بالصّيْد، مولع بالصّحراء وما فيها من طيور، وحُمُر الوحش، وغِزْلان وما إليها... أمَّا"الطّيْر" فهي اسم جمع يشمل أصنافًا من الطُّيور تقفِزُ صورَها إلى الأذهان بألوانها الزّاهية، وحركاتها التي تبعث في النّفْس البهجة، وتمسح عن النّفْس العناءَ والضّيقَ والضّجَر... أمّا أصواتها التي تملأ الفضاءَ أصداؤها، فهي رسائل إلى الآذان لِتلتذَّ بالإصغاء إليها...

وقوله: "والطّيْر في وُكُنَاتها" تَشِي بارتياح الطيور بعد غُدُوّها خِماصًا وعودتها بِطانًا، لِتملأَ حواصل فِراخها بأشهى غذاء، ولا يغيب عنا تَزاحُم الحواصل الغضّة التي تنتظر الأُكُل الذي حلّقتْ أُمَّاتُها من أجله في كُلِّ فَجّ صاعدةً هابطةً غَيْرَ عابئةٍ بِحَرٍّ أو بَرْدٍ أو خطرِ صيّاد يَترقبُ... فهذه الفِراخُ تتدافع وزَغَبُها يتطاير لِيسدَ فَجَوَات العشّ فيزداد رسوخًا وإحكامًا... ولا يَخْفَى ما تحتضنه "الوُكْنَة" من صور؛ فهي تحمل في طياتها السكينة والرَّغَد، والبيوض الواعدة بفِراخ جديدة تملأ قلوبَ أُمَّاتِها والعشّ أُنْسًا وفرحًا. فعندما تكِنُّ الأم على البَيْض تسري عاطفة الأُمومة في الصِّغار المُرتقَبَة... ثم لا تلبث الفِراخ أنْ تشقَ أغلفة البَيْض وترى النّور... وترى بأعينها ومناقيرها الغضّة معنى الأمومة، والكَدّ على الأبناء والسعي في سُبُل الحياة... لقد غدا الوُكُن مدرسة لعالم الطيور، ومسرحًا لأحداث الحياة... وكُلّ ذلك ليس بعيدًا عن عالم البشر، وإنْ تغايرت الأشكال والأصوات واللغات... إنَّ كثيرًا من هذه الصّور وما قاربها يستحضره اللاشعور والخيال عند الحديث عن الاغتداء المُبَكِّر مع انحسار الظّلام، وانبلاج الفَجْر...

وفي قوله: "بِمُنْجِرِدٍ" تتجلّى صورة الفرس بشَعْرِه القصير، المستحسَن عند العرب، وتَشِفُ الصيغة الصّرْفية الزائدة (مُنْفَعِل من انفعل) عن الحيوية والانطلاق التي تختزنها الصيغة الثلاثية (جَرَدَ).

أمَّا قولهَ"قَيْد" ففيه لوحة محبّبة إلى قلب الشّاعر... لأنها تبرز ثِمار سعيه الحثيث وتبكيره وانطلاقة، عندما يبصر"صُيُودًه" مُقَيَّدةً... لقد أفلح مسعاه... فهو مُغْتَبِط بكل عناصر رحلته "الاغتدائيّة"؛ فَكُلُّ ما تزوّد به من عناصر الرِّحلة هو عَوْن له، نِبالُه، سِهامُه، حِبالُه... وفرسُه الأصيل السّريع غَدَا فرسُه قَيْدًا يُطَوِّقُ تِلْك الطّرائدَ قبل أنْ تصل إليها سِهام الشّاعر المنطلقة نَحْوها.

ويُخَيَّلُ إلى الشّاعر أنَّ" الصُّيُود" مُقَيَّدة قبل أنْ يُدْرِكَها ويُجْهِز عليها... فما إنْ يُوجِّه طَرْفَهُ صَوْبَ "الطّريدة" إلّا تراءت له صورةُ فرسِه "قَيْدًا" كَبَّلَ الصَّيْد... لقد اختزل الشّاعر بقوله: "قَيْد" مراحل من رحلة إدراك الطّريدة، اختزل أنشطةَ ما قبل المطادرة، وحركات المطاردة... ونجاحَ الاستهداف... كُلُّ ذلك مُخْتَزَلٌ بمشهدٍ واحدٍ سريعٍ مُتَخَيَّلٍ... فما يبتغي صَيْدَه، هو مَصِيدٌ، من لحظة وقوع نظر الفرس عليه، بل غدا الفرسُ ذاتُهُ يُمَثِّلُ بإبصاره الطّرائدَ" قَيْدًا" وُضِعَ في "المَصِيد". إنَّ التّعبيرَ بصيغة "قَيْد"- وهو اسم عَيْن جامد – اختصر أحداثًا بمشهد واحد...

إنَّ هذا الفرسَ الذي تحوّل إلى"قَيْد"- بكل ما تَشِفُ عنه الكلمةُ - ليس بمقدوره أنْ يَفْعَلَ ذلك كُلَّه إلّا إذا كان مُسْتَكَمِلًا شروطَ الأصالة والقوة... فهو مُنْجِرِد ضَخْم، تَخِرُّ الطّرائدُ صريعةً عندما تبصره يَعْدو، فهو ينشر الفَزَعَ والهلعَ في قلوبها بهيكله وسرعته... وهذا الفرس لا يَحْفِلُ بصِغار الطّيْر وحُمُرِ الوحوش والغِزْلانَ ونَحْوها بل هو يدرك "الأوابد" منها التي تُسابِقُ الرّيحَ في انطلاقها وسرعتها... والتي- لِشدة بأسها وقوّتها غادرت أوكارَها وصِحابَها، وتمرّدت تَهِيم في الصّحْراء في كُلِّ فَجٍّ؛ لما تحمِلُ في نفوسها من إباء وتَفَرُّد ونُفُورٍ وبُعْدٍ عن أوكارها وعن عيون الصَّيّادين المتربِّصين... فهي"متوحشة" منفردةٌ عَصِيّةُ المَنال...

ولضيق المقام، وتعذُّر تجاوز الصفحات المحددة، نكتفي بمشهد فرس امرئ القيس في غدوِّه، ونرجئ القول في وصف مشاهد الأطلال والديار إلى لقاء قادم بإذنه تعالى.

الخاتمة:

بعد هذا التطواف أو الترحال في المشاهد التي اشتملت عليها الشواهد النحوية المصطفاة، تجلّتْ لنا قوة الأواصر المشتجرة بين النحو والأدب... ومتَّعْنا أخيلتنا ومشاعرنا بالصور التي تحفِل بها الشواهد... وبدتْ لنا عناصر النحو والصرف التي تحكم البناء الشعري رائعة المُجْتَلَى، وهي تحفُّ بها الألوان الخلّابة... ونفحات العبير التي تفوح من المعاني والصور التي احتضنتها الأبيات... ولسْنا على قدْرٍ من المبالغة إذا قلنا: إنّ من ْ يطلب النحو والصرف من غير ربوع الأدب أو النصوص المختارة التي تتعانق وتأتلف فيها القِيَمُ المُثْلى... والصور المُوحية فلن ينْقَعَ غُلَّتهُ، ولن يُدرك مُبْتغاه على النحو المرجوّ.

الحواشي: